



التصوف عند الفرس

حقيقة

العشق الإلهي

في أغنية الناي لجلال الدين الرومي

وأنشودة الحق لجواد نوربخش

د. أحمد عبد القادر الشاذلي

كلية الآداب - جامعة المنوفية

مکتبہ اسلامیہ - جامعہ اسلامیہ

التصوف والعرفان

يختلط مفهـم التصوف بمفهوم العرفان عند الكثيرين، ويُطلق الباحثون في ميدان التصوف على التصوف الفارسي اسم العرفان .. ولعلمهم بذلك يقصدون تمييز التصوف الفارسي عن غيره من ضروب التصوف، فيهدفون إلى اعتبار التصوف الفارسي تصوفاً فكرياً أكثر منه تصوفاً سلوكياً^(١)، فالعرفان هو من المعرفة - معرفة الذات ...

والتصوف لفظاً قد اشتقوه من الصفاء، وقيل من الصفو بمعنى الصفاء، وقيل أنه من الصف لأن الصوفية في الصف الأول أمام الله، وقيل أنه نسبة لأهل الصفة، وهم فقراء المهاجرين والأنصار الذين أقيمت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول، وقيل أنه مشتق من اسم صوفه بن مرة أحد سدنة الكعبة في الجاهلية، وقيل أنه من كلمة "سوفيا" اليونانية وتعنى الحكمة، وقيل أنه من الصوف الذي هو شعار للزهاد الأول^(٢)، وهى كلها مسميات لا نريد الغوص فيها وإنما يعيننا من التصوف أنه فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالنفس الإنسانية أخلاقياً، وتحقق بواسطة رياضات عملية معينة تؤدى إلى الشعور فى بعض الأحيان بالفناء فى الحقيقة الأسمى، والعرفان بها ذوقاً لا عقلاً، وثمرتها السعادة الروحية، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتية^(٣).

والعرفان هو معرفة وإدراك الذات، وإدراك الذات هو مقدمة لحرية الإنسان من الأنا والصفات الرذيلة، فالعرفان إدراك لحقائق الأشياء عن طريق الكشف والشهود، ومن هنا يعتبرون التصوف مظهراً من مظاهر العرفان^(٤).

(١) التصوف عند الفرس - د. إبراهيم شتا - دار المعارف ص ٤.

(٢) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية - القاهرة ١٩٨٤ ص ٥ - ٩.

(٣) مدخل إلى التصوف - د. أبو الوفا الغنيمي التفتازانى - القاهرة ١٩٧٤ ص ١٠.

(٤) پاسخ هفت پرسش درباره تصوف - دكتور مسعود همايونى چاپ أول - لندن جولای ١٩٩٠ ص

إن إدراك الذات يمكن الإنسان من تحطيم الجدران المحيطة به وتحريره من قيود التي تفصله عن الآخرين، ولا تدعه يحس بسعادة وحنن الآخرين، وهي نفسها الوسيلة التي تصل بالإنسان إلى درجة التفكير في ذاته على وجه لا يرى به ذاته، عندها يبدأ العشق الإنساني داخله، وعندها يكون العرفان هو السبيل الوحيد الذي يخرج السفهاء من شرك الفشل، والعرفان يصل الإنسان إلى مقام الوحدة ليرى بعين اليقين أن بني آدم أعضاء والغربة، والعرفان يصل الإنسان إلى مقام الوحدة ليرى بعين اليقين أن بني آدم أعضاء جسد واحد لأن جوهر الخلق واحد وأنه إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء (١).

والتصوف والعرفان لهما سمات وخصائص يترقى بها الإنسان السلم عن طريق الرياضات والمجاهدات ليتحقق له البقاء مع الحقيقة الأسمى، والفناء خاصة تنطبق على صوفية بذاته أو الأثنا ويتحقق له البقاء مع الحقيقة الأسمى، والفناء خاصة تنطبق على صوفية الوحدة أمثال جلال الدين الرومي.

ويتميز التصوف إلى جانب الترقى الأخلاقي والفناء في الحقيقة المطلقة بالعرفان الذوقى والطمانينة واستخدام الرمز في التعبير (٢). وإذا كان هناك بعض التأثيرات اليونانية والفارسية والهندية التي وجدت سبيلها إلى الفكر الصوفى الإسلامى وتأثر بها بعض المتصوفة المسلمين، وإذا كان المتصوفة المسلمون قد استوعبوا تلك الأفكار الواردة والبسوها ثوباً إسلامياً فهذا لا يعنى انحراف التصوف الإسلامى عن القيم سلامية، ومن ثم وجب التفريق بين الشريعة والطريقة.

عنة والطريقة :

شريعة هي الأسس والمبادئ التي قام عليها الإسلام، هي العقائد والعبادات أعضاء يك يكرند
ه درد آورد روزگار

(سعدى)

وف ص ٧ - ٩

التصوف والعرفان

يختلط مفهـرم التصوف بمفهـوم العرفان عند الكثيرين، ويُطلق الباحثون في ميدان التصوف على التصوف الفارسي اسم العرفان .. ولعلمهم بذلك يقصدون تمييز التصوف الفارسي عن غيره من ضروب التصوف، فيهدفون إلى اعتبار التصوف الفارسي تصوفاً فكرياً أكثر منه تصوفاً سلوكياً^(١)، فالعرفان هو من المعرفة - معرفة الذات ...

والتصوف لفظاً قد اشتقوه من الصفاء، وقيل من الصفو بمعنى الصفاء، وقيل أنه من الصف لأن الصوفية في الصف الأول أمام الله، وقيل أنه نسبة لأهل الصفة، وهم فقراء المهاجرين والأنصار الذين أُقيمت لهم صفة في مؤخرة مسجد الرسول، وقيل أنه مشتق من اسم صوفه بن مرة أحد سدنة الكعبة في الجاهلية، وقيل أنه من كلمة "سوفيا" اليونانية وتعني الحكمة، وقيل أنه من الصوف الذي هو شعار للزهاد الأول^(٢)، وهي كلها مسميات لا نريد الغوص فيها وإنما يعنيها من التصوف أنه فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالنفس الإنسانية أخلاقياً، وتتحقق بواسطة رياضات عملية معينة تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الأسمى، والعرفان بها ذوقاً لا عقلاً، وثمرتها السعادة الروحية، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتية^(٣).

والعرفان هو معرفة وإدراك الذات، وإدراك الذات هو مقدمة لحرية الإنسان من الأنا والصفات الرذيلة، فالعرفان إدراك لحقائق الأشياء عن طريق الكشف والشهود، ومن هنا يعتبرون التصوف مظهراً من مظاهر العرفان^(٤).

(١) التصوف عند الفرس - د. إبراهيم شتا - دار المعارف ص ٤.

(٢) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية - القاهرة ١٩٨٤ ص ٥ - ٩.

(٣) مدخل إلى التصوف - د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني - القاهرة ١٩٧٤ ص ١٠.

(٤) پاسخ هفت پرسش درباره تصوف - دکتر مسعود همايونی چاپ اول - لندن جولای ١٩٩٠ ص

إن إدراك الذات يمكّن الإنسان من تحطيم الجدران المحيطة به وتحريره من قيوده التي تفصله عن الآخرين، ولا تدعه يحس بسعادة وحزن الآخرين، وهي نفسها الوسيلة التي تصل بالإنسان إلى درجة التفكير في ذاته على وجه لا يرى به ذاته، عندها يبدأ العشق الإنساني داخله، وعندها يكون العرفان هو السبيل الوحيد الذي يخرج السفهاء من شرك الفشل، وبالعرفان تتحقق الراحة المعنوية وينجو الإنسان من القلق والاضطراب والغربة، وبالعرفان يصل الإنسان إلى مقام الوحدة ليرى بعين اليقين أن بنى آدم أعضاء جسد واحد لأن جوهر الخلق واحد وأنه إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء^(١).

والتصوف والعرفان لهما سمات وخصائص يترقى بها الإنسان السلم عن طريق الرياضات والمجاهدات ليتحقق له الفناء وهي حالة نفسية لا يعود الصوفي يشعر معها بذاته أو الأنا ويتحقق له البقاء مع الحقيقة الأسمى، والفناء خاصية تنطبق على صوفية الوحدة أمثال جلال الدين الرومي.

ويتميز التصوف إلى جانب الترقى الأخلاقي والفناء في الحقيقة المطلقة بالعرفان الذوقي والطمأنينة واستخدام الرمز في التعبير^(٢). وإذا كان هناك بعض التأثيرات اليونانية والفارسية والهندية التي وجدت سبيلها إلى الفكر الصوفي الإسلامي وتأثر بها بعض المتصوفة المسلمين، وإذا كان المتصوفة المسلمون قد استوعبوا تلك الأفكار الواردة وألبسوها ثوبا إسلاميا فهذا لا يعني انحراف التصوف الإسلامي عن القيم الإسلامية، ومن ثم وجب التفريق بين الشريعة والطريقة.

الشريعة والطريقة :

الشريعة هي الأسس والمبادئ التي قام عليها الإسلام، هي العقائد والعبادات

كسه در آفرینش زسك گوهرند	(١) بنى آدم أعضاء يك پیکرند
دگر عضوها را نماند قرار	چو عضوی به درد آورد روزگار
(سعدي)	

(٢) مدخل إلى التصوف ص ٧ - ٩.

والمعاملات التي رسمها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ..

أما الطريقة فيقصد بها التزام طريق التصوف للوصول إلى الحقيقة ..

ولا بد للصوفي من التفريق بين الشريعة والطريقة ولا بد أن تبدأ الشريعة قبل

الطريقة.

الطريقة بلا شريعة نوع من المروق لا يوصل إلى الحقيقة، الشريعة هي محيط دائرة مركزها الحقيقية وأوتارها الطرق الموصلة من المحيط إلى المركز، فالطرق إلى الله كثيرة ومتعددة، وبنو آدم جميعاً يبدأون طريقهم من محيط الدائرة، بعضهم يسعى للوصول إلى المركز وآخرون يفضلون الوقوف على المحيط (١).

التصوف والأدب الفارسي

ارتبط التصوف بالفرس ارتباطاً كبيراً ولعل اعتبار بلاد فارس المركز الأكبر للتصوف الإسلامي كما يرى المستشرق ماسينون (٢) لأنه يوافق فطرتها وملكاتهما.

يقول ابن النديم (٣) عن أبناء فارس : مشبويو القلب والعاطفة والخيال، فيهم استجابة فطرية للمعارف الروحية، والأذواق الوجدانية؛ ومن ثم وجد التصوف الإسلامي في أرض فارس أفقه ومجالاته والينابيع التي تمده بالزكاء والنماء والقلوب التي تتفتح له وتقتات عليه.

ولعل هذه الآراء التي وصفت الفطرة الإيرانية والأذواق الوجدانية لأبناء فارس هي جزء من اهتمام الفرس بالتصوف بشكل عام إلا أننا نرجع اهتمام الفرس بالتصوف لأسباب دينية قديمة وفلسفية مرتبطة بالفلسفة الأفلاطونية، أو مذهبية متعلقة

(١) التصوف عند الفرس ص ٢٠ - ٢١.

(٢) شخصيات قلقة في الإسلام ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ص ٧.

(٣) الفهرست لابن النديم دار المعرفة بيروت.

بالتشيع.. ولعل التشيع وحده ليس مبرراً لاهتمام الفرس بالتصوف، ولكن ارتباط الفكر الشيعى بالفكر المذهبى المتعلق بالولاية والإمامة والعصمة والتأويل قد أسهم فى الاهتمام.

إن ارتباط التصوف بالأدب الفارسى قد أدى خدمة جليلة لكليهما، حيث حافظ الأدب الفارسى على الأفكار والمعانى الصوفية.

وساعد التصوف على ازدهار الأدب الفارسى، ولذلك يقول د. عبد الوهاب عزام (١١): "ويلغ شعراء فارس فى هذا السبيل غاية لم يدركها شعراء أمة أخرى، فأخرجوا المعانى الظاهرة والخفية، والجليلة والرقيقة، فى صور شتى معجبة مطربة، وقد فُتح عليهم فى هذا فتحاً عظيماً، فكان شعرهم فيضاً تضيق به الأبيات والقوافى والصحف والكتب، حتى ليقف القارئ حائراً.. كيف تجلت لهم هذه المعانى، وكيف استطاعوا أن يشققوا المعنى الواحد إلى معانى شتى، ثم يخرجوا كل واحد منها فى صور شتى عجيبة، كأنها أزهار المرح ونباته تزدهم فى العين ألوانها وأشكالها، ماؤها واحد، وترايبها واحد".

ويقول أيضاً: "لقد تحول الشعر الفارسى كله إلى شعر صوفى، فلا يخلو شاعر فارسى من نزعة صوفية تظهر فى شعره، لشد ما سيطر شعراء الصوفية على الشعر الفارسى".

ويقصد بذلك الشعر فى القرن السابع الهجرى وما يليه حيث ظهر كبار شعراء التصوف الفارسى وأبدعوا الغزليات والمثنويات.

حافظ التصوف على رموز الثقافة الإيرانية القديمة خاصة فى المسائل المتعلقة بالجمال وحب الجمال وأسهموا فى إدراج فنون النقش والنحت والموسيقى والرقص فى

(١) التصوف وفريد الدين العطار - القاهرة ١٩٤٥ ص ٤٢.

التصوف مما أسهم فى ازدهارها وبقائها على الرغم من إنكار الفقهاء لها ، فى القرون الأولى لم يكن لدى المتصوفة فى إيران من هم سوى الاهتمام بالعبادة والزهد، ولما كانوا يحظون بقبول عند الناس، لذا فإن الناس لم يشكوا فى إسلامهم عندما وجدوا فيما بعد اهتمامهم بالجمال والموسيقى، وقد أحيا المتصوفة عن طريق حياكة المرقعات وتزيين السجاجيد والقلنسوات ذات الشراشيب وتزيين المحاريب وتذهيب المصاحف فن النقش، وأشاعوا الموسيقى والرقص كعنوان للسمع والوجد دون إثارة الفتنة، وبالتدريج أصبحت الموسيقى والرقص عند بعض طرق التصوف جزءاً من العبادات والوصول إلى الكمال، وقد أثر رواج الموسيقى فى الأدب الفارسى تأثيراً كبيراً، ومنح الشعر أوزاناً أجمل تتناسب مع اللحن والنشيد والرقص.

إن الأدب الفارسى لم يكن قبل شيوع التصوف إلا أدب مدح، ولم يكن الشعر سوى وصف للحرب والصيد والقصر والإيوان للمدح، ولم يكن الشعر من مهمة سوى تأمين مصالح الشاعر وقليلة جداً تلك الأشعار التى تخرج عن المدح والوصف.

ويعتقد البعض (١) أنه لو لم يصل التصوف إلى الشعر الفارسى ما حظى بمثل هذا الحال من اللطف والجمال ، وما كان لايران من أثر منظوم سوى الشاهنامه، وأنه لو لم يكن هناك حب الصوفية ما ارتقى الشعر الفارسى إلى مثل هذا المستوى الراقى ولظل مليئاً بالتحرشات الجنسية حتى فى ألطف غزلياته، ولظل واقفاً عند الحب السوقي، والمعشوق غلام أو جارية تباع وتشترى، والمتاع الذى يباع ويشترى لا يصلح للحب الإلهى.

أنقذ التصوف الشعر الفارسى من الابتذال والزوال، وزوده بالعشق بمفهومه البسيط وبارتباطه بالعاشق الإلهى، وقد أوصل التصوف الشعر الفارسى إلى أعلى عليين، محا أنواع التملق والمدائح الكاذبة، وأهدى المحبة والعشق والحقيقة إلى الشعر

(١) پاسخ هفت پرسش درباره تصوف - مسعود همايونى ص ١١.

الفارسي.

ارتبط التصوف الفارسي بأشكال مختلفة وفي قوالب عديدة منها الغزلية، والرسائل العشر والحكايات والقصص (١) أما الغزل أو الغزلية فهي تدور حول العشق والعشاق سواء في الحب العذري أو الحب الإلهي وهي لا تقل عن خمسة أبيات ولا تتجاوز خمسة عشر بيتاً وتنتهي عادة بتخلص الشاعر، وعلى النمط جاءت غزليات سنائي الغزنوي وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي وعبد الرحمن الجامي.

أما الرسائل العشر فهي رسائل متبادلة بين العاشقين، وهي منظومات عشر، خمس رسائل من العاشق، وخمسة ردود من المعشوق، وقد شاع هذا القالب في القرن الثامن الهجري ووصل إلينا منها سبع هي: منطق العشاق لأوحدى المراغي، وعشاقنامه لعبيد زاكاني، وتحفة العشاق لركن صاين الهروي، ومحبته نامة لفضل الله نصوص الشيرازي، وروضة المحبين لابن عماد، ومحبوب القلوب لسعد الدين الحريري، وروضة العاشقين لعزير البخاري.

أما قصص الحب فقد نظمت قصص يوسف وزليخا وليلى والمجنون، وقد نظم هذه القصص وغيرها عدد من الشعراء، فليلي والمجنون نظمها نظامي وأمير خسرو دهلوي والجامي ومكتبي وهاتفى وناسي، ويوسف وزليخا نظمها الفردوسي والجامي وآذري وناظم الهروي كل على حدة.

أما حكايات الحب فهي تجسيد لفكرة الحب الإلهي، وهي بمثابة دروس للمريدين لمعرفة الحب الإلهي مثل حكايات جلال الدين الرومي في المثنوي المعنوي (٢).

(١) الحب في الشعر الفارسي - د، عفاف السيد زيدان - دار المعارف ص ٢٠ .

(٢) الحب في الشعر الفارسي ص ٣٢ .

جلال الدين الرومي وحكمة الإشراف

جلال الدين محمد البلخي الرومي، من أعظم شعراء التصوف في إيران^(١)، ولد في مدينة بلخ في أوائل القرن السابع الهجري، وطبقاً لرواية أصحاب التذاكر^(٢) الذين ينسبونه لأبي بكر الصديق فإنه قد رحل في طفولته إلى بلاد الروم مع والده محمد بن الحسين بن الخطيب المعروف ببهاء الدين ولد بسبب غضب السلطان محمد خوارزمشاه على والده، وفي طريق رحلته من بلخ إلى بغداد التقى مع الشيخ فريد الدين العطار الذي أهدى كتابه "أسرار نامه" لابنه جلال الدين وقال له : إن ولدك هذا سرعان ما يضرم النار في المحترقين في العالم^(٣).

تتلمذ جلال الدين على يد أبيه ثم تزود بالمعارف في حلب ودمشق ثم عاد إلى قونية واشتغل بالدرس والتحصيل، والتف الناس حوله ولقبوه إمام الدين وعماد الشريعة.

التقى جلال الدين بعد ذلك بالشيخ شمس الدين تبريزي^(٤)، وبعدها تبدل حاله وانقطع عن أصحابه وتلاميذه وتحول من الفقه إلى التصوف، وغرق في الحب الإلهي، وعكف على الرقص والسماع حتى قُتل شمس تبريزي، فحزن حزناً مريعاً.

انقطع جلال الدين للرياضة الروحية ونظم الشعر، واجتمع حوله جمع غفير من المريدين، وصارت له طريقة تدعى المولوية أو الجلالية وظل على هذا الحال حتى مات

(١) مثنوى معنوي مولانا جلال الدين محمد مولوي - رينولد نيكلسون - كليات شمس تبريزي بديع الزمان فروزانفر ص ٢٩ ببعد.

(٢) تذكرة الشعراء - أمير درلشاه - سمرقندي به همت محمد رمضان - طهران ١٣٣٨ ص ١٤٤ - ١٥١.

(٣) خودش ص ١٤٥.

(٤) نفحات الأنس - عيد الرحمن جامي - چاپ مهدي پور توحيدى طهران ١٣٣٦ ه.ش. ص ٤٦٤.

جلال الدين الرومي وحكمة الإشراف

جلال الدين محمد البلخي الرومي، من أعظم شعراء التصوف في إيران (١)، ولد في مدينة بلخ في أوائل القرن السابع الهجري، وطبقاً لرواية أصحاب التذاكر (٢) الذين ينسبونه لأبي بكر الصديق فإنه قد رحل في طفولته إلى بلاد الروم مع والده محمد بن الحسين بن الخطيب المعروف ببهاء الدين ولد بسبب غضب السلطان محمد خوارزمشاه على والده، وفي طريق رحلته من بلخ إلى بغداد التقى مع الشيخ فريد الدين العطار الذي أهدى كتابه "أسرار نامه" لابنه جلال الدين وقال له : إن ولدك هذا سرعان ما يضرم النار في المحترقين في العالم (٣).

تتلمذ جلال الدين على يد أبيه ثم تزود بالمعارف في حلب ودمشق ثم عاد إلى قونيه واشتغل بالدرس والتحصيل، والتف الناس حوله ولقبوه إمام الدين وعماد الشريعة.

التقى جلال الدين بعد ذلك بالشيخ شمس الدين تبريزي (٤)، وبعدها تبدل حاله وانقطع عن أصحابه وتلاميذه وتحول من الفقه إلى التصوف، وغرق في الحب الإلهي، وعكف على الرقص والسماع حتى قُتل شمس تبريزي، فحزن حزناً مبرحاً.

انقطع جلال الدين للرياضة الروحية ونظم الشعر، واجتمع حوله جمع غفير من المريدين، وصارت له طريقة تدعى المولوية أو الجلالية وظل على هذا الحال حتى مات

(١) مثنوى معنوى مولانا جلال الدين محمد مولوى - رينولد نيكلسون - كليات شمس تبريزي بديع الزمان فروزانفر ص ٢٩ ببعد.

(٢) تذكرة الشعراء - أمير درلشاه - سمرقندی به همت محمد رمضان - طهران ١٣٣٨ ص ١٤٤ - ١٥١.

(٣) خودش ص ١٤٥.

(٤) نفحات الأنس - عبد الرحمن جامي - چاپ مهدی پور توحیدی طهران ١٣٣٦ هـ.ش. ص ٤٦٤.

ليست حكمة مأخوذة عن الزرادشت أو المانويين بل إن أصولها تعود إلى عظماء إيران
القديمي .

وقد كتب الشهرزوري تلميذ السهروردي في شرحه على حكمة الإشراق : من
الممكن تفسير كلمات حكمة الاشراق تفسيراً ظاهرياً بمساعدة العلم الظاهري، ولكن
تأويله الباطني يستلزم تفسيراً داخلياً آخر، وولادة معنوية جديدة حتى يمكن للإنسان
الولوج داخله والانشغال بتأويل رموز وجوده، إنه لا يتيسر للمرء القدرة على تأويل
رسالة الشرق لعالم الوجود على أنها حكمة اشراق، حكمة الإشراق هي رسالة بلغة الرمز
ليس لدى كل إنسان مقدرة علي إدراكها وكشف رموزها.

لحكمة الإشراق جانبان: ظاهري وباطني أو نظري وعملي، الجانب النظري لحكمة
الإشراق نال اهتمام علماء إيران بعد موت السهروردي وقد شرح حكمة الإشراق كثيرون
أشهرهم شرح قطب الدين الشيرازي (مولود ٦٤٤ - متوفى ٧١٠ هـ).

ازدهرت حكمة الإشراق في العصر الصفوي على يد ميرداد وتلاميذه منهم صدر
الدين الشيرازي المعروف بملا صدرا، أعظم متصوفة العصر الصفوي وصاحب الأسفار
الأربعة، وكان من أتباع حكمة الإشراق وله تعليقات هامة عليها (١).

أما التأويل الباطني أو العملي لحكمة الإشراق فإنه الطريق والسلوك العملي
لعرفان الحب الإيراني الذي سلكه أغلب العارفين أمثال الحلاج والطار وحافظ
الشيرازي.

وأهم العارفين في هذا المجال مولانا جلال الدين محمد الرومي الذي يعد كتابه
المثنوي المعنوي دائرة معارف عرفانية، ويعد المولوي مؤسساً لعرفان الحب الالهي وقد
فتح المجال أمام العالم لأعظم هدف للعرفان الإيراني.

(١) پاسخ هفت پرسش درباره تصوف ص ٥ .

وقد سار عرفان الحب الالهي لعدة قرون مترسما عرفان العبادة والرياضة والخلوة
والانزواء مع تفضيل لاسلوب الزهد حتى استقر الحب الالهي القائم على عرفان مولانا
جلال الدين الرومي.

مولانا جواد نوربخش

الدكتور جواد نوربخش هو آخر شيوخ سلسلة طريقة النعمة الالهية من فرع
جماعة مؤنس عليشاه، وهي إحدى الطرق الصوفية التي تنتهج نهج الطريقة المولوية
لمولانا جلال الدين الرومي المولوي.

ولقد ورث دكتور جواد نوربخش صهر أخو الحاج مؤنس عليشاه المعروف بذي
الرياستين في خانقاه طهران، وعمل على إصلاح شأن الخانقاه، واهتم بتأسيس
الخانقاوات وتطويرها حتى بلغت مائة وعشرين خانقاة، في إيران، وتسعاً في أمريكا،
وخمساً في أوروبا وواحدة في أفريقيا^(١).

ودكتور جواد نوربخش يقيم في لندن ويصدر مجلة صوفي وإرشاد في لندن
باللغتين الإنجليزية والفارسية، ويعمل على نشر عرفان مولانا جلال الدين الرومي.
أما السلسلة نعمة الله المنسوبة لشاه نعمة الله ولي ... فإنه يستوجب إلقاء
الضوء على تكوين السلسلة.

في أوائل التصوف كان كل شيخ يربي المريدين، وكل من يصل إلى درجة الكمال
منهم، يلبسه الشيخ خرقة الإرشاد ويجيزه للإرشاد وأحياناً كان الشيخ يربي مريديه إلى
مرحلة ثم يرسلهم إلى شيخ أعلى، وكان المشايخ نادراً ما يختلفون في الفروع ولكن
عندما اتسع التصوف، واتهمه رجال الشرع بالبدع، أخذ المتصوفة يوصلون سلاسلهم
بأحد الصحابة أو النبي صلى الله عليه وسلم، فأوصل الصوفية السنيون جميع سلاسلهم

(١) پاسخ هفت پرسش درباره تصوف ص ٣٢ .

بأبى بكر الصديق، وأوصل الصوفية الشيعة سلاسلهم إلى الإمام على أو أحد الأئمة، حتى يظهروا أحقية سلسلتهم، على الرغم من أننا نعرف أنه لم يجر أى مصطلح من مصطلحات الصوفية على لسان أبى بكر أو الإمام على، ولم تكن آداب التصوف سارية بين المسلمين، ولو كان هناك مثل هذه الألوان لبرزت فى حالات الضيق والحروب والفتن، لأنه عندها يكشفون الأسرار.

إن الطريقة التى هى باطن الشريعة أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية، وكانت كلمات تعطى معنى التصوف تجرى على السنة الصحابة ولكنها لم تكن فى قالب التصوف.

تشكلت السلاسل بعد ذلك، وحميت المناقشات والمجادلات بين المتصوفة ورجال الشرع ونال التصوف رواجاً حتى عهد الصفويين، وعلى الرغم من أن الصفويين قد عملوا فى البداية على تزكية التصوف وكانوا يخاطبون الشاه اسماعيل الأول بالمرشد الأعظم، لكنهم عدلوا بالتدريج عن التصوف لصالح نشر المذهب الشيعى، ولذا تغلب رجال الشرع على الصوفية وهاجر المتصوفة إلى الهند، وكان شاه نعت الله ولى أحد هؤلاء المهاجرين.

استمرت سلسلة نعمة الله فى الهند حتى أرسل شاه على رضا دكنى اثنين من تلاميذه إلى إيران وهما: مير عبد الحميد معصوم عليشاه وشاه طاهر دكنى لإحياء رسوم الطريقة المولوية والأخذ بطلاب الحقيقة وتأسيس سلسلة نعمة الله فى إيران سنة ١١٩٠ هـ.

وبعد مير معصوم عليشاه توالى السلسلة فى نور عليشاه ثم حسين عليشاه ثم كوثر عليشاه ومنه تفرعت جماعة الكوثرية. ثم ظهرت جماعة أخرى انفصلت من السلسلة وهى جماعة شمس العرفا المعروفة بشمسية.

انتقلت السلسلة إلى مستعلى شاه ثم رحمت عليشاه وانقسمت السلسلة إلى

ثلاث جماعات :

(١) جماعة الحاج محمد كاظم تنباكوفروش المعروف بطاوس العرفاء والملقب بسعادت
عليشاه والذي خلفه سلطان عليشاه گنابادي على سلسلة گنابادية وتواصلت
السلسلة في نور عليشاه ثم صالح عليشاه ثم جناب رضا عليشاه المعروف بتابنده
والمقيم الآن في إيران.

(٢) جماعة منور عليشاه عم رحمت عليشاه ثم ابنه علي أفا الملقب بوفاء عليشاه ثم
الملقب بمؤنس عليشاه.

ويعتد وفاة مؤنس عليشاه تنازع على خلافته الحاج زين العابدين في أصنهمان
الملقب بمؤنس عليشاه. جواد نوربخش استطاع أن يرث صهره علي خانقاه
وحجة عليشاه في طهران ولكن د. جواد نوربخش استطاع أن يرث صهره علي خانقاه
طهران ويتراأس السلسلة كلها.

وجواد نوربخش يبلغ من العمر الآن إحدى وثلاثين سنة (١٩٩٤)، وهو شاعر
وأديب له في الشعر العرفاني الكثير الذي ينشره بصفة دائمة في المجلات الصوفية
المتخصصة، كما أنه يكتب كثيراً في مجال التصوف والتفسير المعنوي والروحي
والنفسى للأدب الصوفي.

(٣) والجماعة الثالثة فهي جماعة ميرزا حسن اصفهاني الملقب بصفى عليشاه وهذه
الجماعة يدير شئونها الآن جمعية الأخوة المشكلة من أحد عشر عضواً مدى الحياة
فإذا مات عضو تم انتخاب آخر محله (١).

(١) پاسخ هفت پرسش درباره تصوف ص ٣٤.

بين جلال الدين الرومي وجواد نوربخش

سعى د. جواد نوربخش لتقليد أغنية الناي التي استهل بها الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي مثنويه حين قال :

استمع للناي كيف يحكى
ويشتكى ألم الفراق
(قائلا) منذ أن قطعوني من الغاب
والناس يتألمون من أنيني
قالها د. جواد نوربخش :

استمع للحق كيف يحكى
ويهدى العاشقين
يقول : أحرقتكم منذ البداية
وعلمتكم طريق العشق ورسومه
إنما جاء هذا الترسيم ليعبر عن استمرارية الفكر المولوي، والسعى لتقليده مما
يعني خلود أفكار وآراء جلال الدين الرومي.

لم يكن تأثير جلال الدين الرومي في مثنوى د. جواد نوربخش مجرد تقليد
عفوي وإنما جاء حاملا للمعاني الصوفية العالية التي يتغنى بها الرومي، جاءت لغة
التصوف واضحة جلية تبرز فكر الرومي.

أما من ناحية القالب فقد نظم جلال الدين الرومي في قالب المثنوى وفي بحر
الرملي المسدس المحذوف ونظم د. جواد نوربخش في قالب المثنوى أيضا وفي نفس
البحر.

أما الأفكار المعنوية والصوفية والنفسية فسوف أتعرض لهما بعد ترجمة أغنية
الناي لجلال الدين الرومي وأنشودة الحق لجواد نوربخش.

استمع للنای (*)

لمولانا جلال الدين الرومی

(أغنية النای)

- | | |
|--|--------------------------------|
| ریشتکی ألم الفراق ^(۱) | استمع للنای کیف یحکی |
| والناس يتألون من أنینی ^(۲) | (قائلا) منذ أن قطعونی من الغاب |
| لأشرح له ألم الإشتیاق ^(۳) | أرید صدراً مزقه الفراق |
| یعاود البحث عن زمن وصله ^(۴) | کل من ابتعد عن أصله |
| وصرت قرینا للتعساء والسعداء ^(۵) | إننی أنوح فی کل جماعه |
| ولم یبحث عن الأسرار فی داخلی ^(۶) | کل واحد یظن أنه رفیقی |
| ولکن أتى للعين والأذن أن یدرکاهذا النور ^(۷) | سری لیس یعیدا عن نواحی |

-
- | | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| وزجداًتیها شکایت میکنند | (۱) بشنوازنی چون حکایت میکنند |
| از نفیرم مرد وزن نالیده اند | (۲) کزنیستان تامرا ببریده اند |
| تابگویم شرح درد اشتیاق | (۳) سینه خواهم شرحه شرحه ازفراق |
| باز جوید وزگار وصل خویش | (۴) هرکسی کودور ماند ازاصل خویش |
| جفت بد حالات وخوشحالان شد | (۵) من بهر جمعیتی نالان شدم |
| وز درون من نجست اسرارم | (۶) هرکسی ازظن خود شد یارمن |
| لیک چشم وگوش را آن نورنیست | (۷) سر من ازنالء من دور نیست |

(*) المثنوی معروف "بأغنية النای" - مثنوی معنوی - جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي
 ثم الرومی سعی واهتمام رینولد الین نیکلسون - مرکز پخش مشعل تهران دفتر اول ۳ .

ولا الروح بمستور عن الجسد
لإنسان لرؤية الروح (١).
فلا كان كل من ليس لديه هذه النار (٢).

وسورة العشق هي التي حلت بالبحر (٣)
ومزقت أنفامه حجبنا (٤)
ومن رأى مثله رفيقا ومشتاقا (٥)
ويروى قصص عشق المجنون (٦)
فليس هناك من مشتر سوى الأذن (٧)

ليس الجسد بمستور عن الروح
لكن لا إذن
صوت الناي نار لا هواء

إن نار العشق هي التي حلت في الناي
لناي نديم لكل من افترق عن الحبيب
لنم رأى مثل الناي سما وترياقا
لناي يحكى لنا الأحاديث الدامية
سر هذا العقل حرام على المجنون

ليك كس راديدجان دستورنيست
هرکه اين آتش ندارد نيست باد
جوشش عشق است کاندرمى فتاد
پردهايش پردهاي ما دريد
همچونى دمساز مشتاقى که ديد
قصه هاي عشق مجنون ميکند
مر زبان رامشترى جز گوش نيست

(تن زجان و جان زتن مستورنيست
(آتش است اين بانگ ناي و نيست باد
(آتش عشق است کاندرمى فتاد
(نى حريف هرکه ازيارى بريد
(همچونى زهرى وترياقى که ديد
نى حديث راه پر خون ميکند
محرم اين هوش جزى هوش نيست

- الأيام تتوالى فى همنا متعشرة وتترافق أيامنا الأحزان (١)
 فإذا ذهبت الأيام فقل: اذهبى فلا خوف وابق انت يامن لا مثيل لك فى الطهر (٢)
 فكل من لم يكن سمكاً شبع من مائه وكل من لا رزق له طال يومه (٣)
 فلا يدرك أى ساذج حال الناضج فيجب أن تكف عن الكلام والسلام (٤)
 أيها الولد حطم التمسيد وتحمرر فالام تظل عبد الذهب والفضة (٥)
 فلو أردت أن تغترف البحر فى كوز فهل يكفيك أكثر من يوم واحد (٦)
 كوز الحريصين لا يمتلأ وطائفا لا يقنع الصدف لا يمتلأ بالدر (٧)

- (١) درغم ما روزها بیگاه شد روزها با سوزها همراه شد
 (٢) روزها گر رفت گو رویاک نیست تویمان ای آنکه چون توياک نیست
 (٣) هر که جز ما هی زآبش سیرشد هر که بی روزی است روزش دیرشد
 (٤) در نیاید حال پخته هیچ خام پس سخن کوتاه باید والسلا
 (٥) بند بگسل باش آزاد ای پسر چند باشی بندسیم و بندز
 (٦) گر بریزی بحر را در کوزه چند کنجد قسمت یک روز
 (٧) کوزه چشم حریصان پر نشد تا صدف قانع نشد پر در نشد

- كل من تمزقت ثيابه من العشق
 فاسعد يامن عشقه سر هيامنا
 يا دواء غرورنا وكبيرائنا
 الجسد الترابى علا الأفلاك من العشق
 حل العشق فى روح الطور ايها العاشق
 لو اقتدرت شفتاى بشفتى حبيبي
 فكل من فرقته الدهر عن أهله
 فإنه يتطهر من الحرص وكل العيوب (١)
 يا طبيب لكل عللنا (٢)
 يا أفلاطوننا وجمالينوسنا (٣)
 ورقص الجبل وصار خفيف الحركة (٤)
 فسكر الطور وخر موسى صعقا (٥)
 لقلت مثل الناي الأتوال (٦)
 يصبح بلا لسان وان كان لديه مائة صوت (٧)

- (١) هرگرا جامه زعشقى چاك شد
 (٢) شادباش اى عشق خوش سوداى ما
 (٣) اى دواى نخوت وناموس ما
 (٤) جسم خاك از عشق بر أفلاك شد
 (٥) عشق جان طور آمد عاشقا
 (٦) بالب دم ساز خودگر جفتمى
 (٧) هرک او ازهم زبانی شد جدا
 او زحرص وجمله عیبى پاك شد
 اى طبيب جمله علتهاى ما
 اى توافلاطون وجمالينوس ما
 كوه در رقص آمد وچالاك شد
 طور مست وخر موسى صعقا
 همچونى من گفتنيها گفتمى
 بى زبان شد گرچه دارد صدنوا

لا تسمع من البلبيل سيرته)
 المعشوق هو الحى والعاشق ميت)
 فانه يبقى مثل طائر بلا جناح)
 حينما لا يكون نور حبيبي امامى وخلفى)
 كما لا تكون المرأة مرآة إلا اذا أظهرت الصور)
 انه من ذلك الصدا الذى علاها)
 فهى فى الحقيقة نقد لحالنا)

وعندما يذبل الورد ويجف البستان
 المعشوق هو الكل والعاشق حجاب
 وعندما لا يكون للعشيق راع
 فكيف يكون لى عقل يدرك ماسبق وماالحق
 العشيق يظهر هذا القول
 أتدرى لماذا لم تظهر مرآتك الصورة
 فاستمعوا يا احباب هذه القصة

نشونوى زآن پس زبلبل سرگذشته
 زنده معشوقست وعاشق مرده
 او چو مرغى ما ندبى پروای او
 چون نباشد نوریارم پیش وپس
 آئینه غماز نبود چون بر
 زآنک زنگار از رخس ممتاز نیست
 خود حقیقت نقد حال ما ست

(۱) چونک گل رفت وگلستان درگذشت
 (۲) جمله معشوقست وعاشق پرده
 (۳) چون نباشد عشق را پروای او
 (۴) من چگونه هوش دارم پیش وپس
 (۵) عشق خواهد کین سخن بیرون بود
 (۶) آئینه ات دانی چرا غماز نیست
 (۷) بشنوید ای دوستان این داستان

استمع للحق (*)

(انشودة الحق)

مولانا دكتور جواد نوربخش

- (١) بهدى العاشقين
- (٢) وعلمتكم طريق العشق ورسومه
- (٣) وقد تجليت فيكم
- (٤) حتى ترسخ نظام العشق
- (٥) حتى جعلتكم عشاقى
- (٦) فمن يكون صادقاً فى عشقى
- (٧) وإن لم تكن جاذباً (فلا تقل) إين المجدوب

ستمع للحق كيف يحكى
قول: أحرقتم منذ البداية
رى صوركى
مداكم عشقى منذ البداية
تقت شباك العشق منذ الأزل
لم أرغب فى ان تكونوا عشاقاً
الما لست محباً (لاتسل) اين المحبوب

عشقبازان را هدايت مى كند
راه ورسم عاشقى آموختم
جلوه گر كردم ظهور خویش را
تا نظام عاشقى آمد درست
تا شما را عاشق خود ساختم
كى بود در عشق من صادق كسى
جاذبى گر نيست مجذوبى كجاست

(١) بشنواز حق چون حكایت مى كند
(٢) گوید: اول من شمارا سوختم
(٣) تا ببینم نقش روى خویش را
(٤) عشق من شد رهنماتان از نخست
(٥) در ازل من دام عشق انداختم
(٦) گر نخواهم كى شود عاشق كسى
(٧) تا محبى نيست مجبوى كجاست؟

المثنوى منشور بمجلة صوفى العدد الثامن مهرماه ١٣٦٩ هـ.ش ١٩٩٠ - مجلة فصلية تصدر عن
خانقاه نعمت الله - لندن

فلما وجدتک لائقاً بی
العشق يجعلک ولهناً فی البداية
وعندما تشبع من تباریح العشق
عندما يملأ العشق صدرك
يفرغ بالک من کل ما کان ولم یکن
العشق لیس مراماً للأویاش
فمائدة الغیب حق للرجال

ألقیت فی قلبک قبسة العشق (۱)
حتى يجعلک غریباً عنا (۲)
یبعد خاطر الغیر عن ذاتک (۳)
یحیر عقلک ویفضحه (۴)
(ویصبح) العدم فی قید اظهار الوجود (۵)
ولیس شرك الصیاد حقاً لكل محتال (۶)
وکل قلب لیس جديراً باحسان الغیب (۷)

(۱) تاتورا من لایق خود یافتم
(۲) عشق اول می کند دیوانه ات
(۳) چون کنی در پیچ و تاب عشق سیر
(۴) عشق چون در سینه ات ماوا کند
(۵) میشوی قارغ زهر بود و نبود
(۶) عشق رام مردم اویاش نیست
(۷) در خور مردان بود این خوان غیب

در دلت سودای عشق انداختم
تازما ومن کند پیگانه ات
از وجودت دور سازد یاد غیر
عقل را سرگشته و رسوا کند
نیستی در بند اظهار وجود
دام حق صیاد هر قلاش نیست
نیست هر دل لایق احسان غیب

- ومن يخلط الناضج بالنيء (١)
وما شأن العشق بالنار والرضوان (٢)
فمن يتصيد الانجاس والأراذل (٣)
فمن يصيب العشق بقلب ميت (٤)
فمتى يظهر العشق لتكون (٥)
لا يخشى من فنائه (٦)
حتى لا يبقى في قلبك كيف ولماذا؟ (٧)

فمن يجعل العشق مع الهوس
ما شأن العشق بالكفر والايان
العشق يتصيد الأطهار
القلوب الحية من العشق سكرى
للعشق مع العدم سجال
العشق يبحث عن نديم ممزق الصدر
العشق يأسر عقلك

- پخته کی باخام گردد همنفس؟
عشق را با دوزخ و رضوان چه کار؟
کی بدام آرد پلید و نابکار
مردہ دل کی عشق را آرد بہ دست
تاتر ہستی عشق کی پیدا ہوں
کوندارد از فنای خویش باک
تا نماند در دل ت چون و چرا

- (١) عشق کی همگام باشد باهوش
(٢) عشق را با کفر و با ایمان چه کار
(٣) عشق سازد پاکبازان را شکار
(٤) زندہ دلہا میشوند از عشق مست
(٥) عشق را با نیستی سودا ہوں
(٦) عشق می حریفی سینہ چاک
(٧) عشق در بند آورد عقل ترا

فسر فی وادی الفقر والفناء (۱)

وقف فی صف احرار الفقر (۲)

xxxxxx

لا نقش له حتی علی الماء (۳)

وهو غریب عن کل شخص (۴)

ولیست إلا سویداء القلب سویداء (۵)

ولا طلب لیدیه سوی محبة الحبیب (۶)

فهذا هوسه ولا سبیل آخر (۷)

إذا استولی العشق علی صدرك،

کن عشاقا وولهاناً وفانیاً،

xxxxxx

من العاشق؟ لا شیء .. سراب

یکفیه من العالمین رفیقاً

لیس إلا إیاه معشوقاً فی الدنیا

کل ما یحببه حسن لیدیه

إذا تمنی وصالک فی السر

پای نه در وادی فقرو فنا

در صف آزادگان درویش باش

نیست حتی نقشی از او روی آب

غیر از او پیگانه باهر کس بود

نیست جز سوادی دل سوادی او

نیست دلخواهش بجز دلخواه دوست

این هوس باشد که راهی دیگر است

(۱) عشق اگر در سینه داری الصلا

(۲) عاشق و دیوانه وی خویش باش

(۳) کیست عاشق؟ هیچ، آن هم در سراب

(۴) از دو عالم دو عالم دوست او را بس بود

(۵) نیست جز معشوق دردنیای او

(۶) هر چه خواهد دوست پیش او نکوست

(۷) گر تمنای وصال در سراسر است

- ويجاد فى طلبه (١)
 وليس فى قلب العاشق سوى الحبيب (٢)
 ولكن فى الحقيقة ليس هو (٣)
 وهو ادعاء لا يلىق ولا يجوز (٤)
 أبدى مجالا فى أمر العشق (٥)
 فدع هذا ان كنت نديماً صادقاً (٦)
 ولا تتمنى حتى النظرة (٧)

يتمنى العاشق مرافقته
 لا شأن للعاشقين بنا
 العاشق لا يفتنه من هو؟
 قولى أنى عاشق ادعاء
 كل من اراد إظهار العشق
 كم يقال عنا بأننا عاشقين
 لا تطلب من معشوقك شيئاً مطلقاً

- از سر سودای خود برخاسته
 در دل عاشق یغیراز یار نیست
 هست، اما در حقیقت نسبت او
 ادعائی ناروا و نایب است
 صحنه سازی میکند در کار عشق
 بگذر از خود گر حریفی صادق
 بی تمنا باش حتی در نگاه
- (١) عاشق آن خواهد که یارش خواسته
 (٢) عاشقان را بامن وما کار نیست
 (٣) عاشق شیدا نداند کیست او
 (٤) گفتن من عاشقم خود ادعاست
 (٥) هر که پیش یار کرد اظهار عشق
 (٦) بامن وما چند گوئی عاشقی
 (٧) هرگز از معشوق خود چیزی نخواه

فالكافر لم يزل عاشقاً للوجود (١)

المعشوق حي والعاشق ميت (٢)

xxxxxx

وعلمك طريق ورسوم العدم (٣)

من كل خوف وقلق (٤)

من قيد النفس، وأسعدك (٥)

والقفاك في ثنايا الوحدة (٦)

xxxxxx

فاغمض أمام رؤيته عين الوجود

الكل هو المعشوق ولا يوجد عاشق

xxxxxx

من المعشوق؟ إنه هو الذي أحرقك

من المعشوق؟ إنه هو الذي أفرغ ذاتك

من المعشوق؟ إنه هو الذي حررك

من المعشوق؟ إنه هو الذي أضاعك

xxxxxx

كافرى در عشق اگرهستى هنوز

زنده معشوق است وعاشق مرده اى است

راه و رسم نيسستى آموزدت

فارغ از هر ترس و تشويشت گنا

از كمنند نفس و دلشادت گنا

در خم وحدت بياندازد تورا

(١) پيش رويش ديدهء هستى بدوز

(٢) جمله معشوق است وعاشق هيچ نيست

(٣) كيست معشوق؟ آن كه هستى سوزدت

(٤) كسيت معشوق؟ آن كه بى خويشت كند

(٥) كسيت معشوق؟ آن كه ازادت كند

(٦) كسيت معشوق؟ آن كه گم سازد تورا

لا مثيل لهذا المعشوق سوى الحق
 فعلق قلبك في ذلك المعرفة
 حتى تحقق هدفك المنشود
 وأخطو بقدم التسليم والرضا
 وإلا ضعت في طريق الضلال
 الشيطان والحفر في طريق الإعوجاج

في الحقيقة إنه كلمة الحق وكفى (١)
 واحترم في ذاتك نار الله (٢)
 وتعرف طريقك المحمود (٣)
 وسر نحو كعبة الفقر والفناء (٤)
 وصرت كالجهلاء الفلسين (٥)
 فانتبه إنه الطريق الصعب (٦)

(١) أين چنین معشوق جز حق نیست کس
 (٢) دست دل در دامنی آگاه زن
 (٣) تا بیایم مقصد دلخواه را
 (٤) در پی اش با پای تسلیم و رضا
 (٥) ورنه و بیراهه سرگردان شوی
 اندر آن بیراهه ها غول است و چاه

در حقیقت حرف حق این است و بی
 خویش را بر آتش الله زن
 رهروی جو کو بداند راه را
 گام زن تا کعبه فقر و فنا
 و امیدار مردم نادان شوی
 هان مواظب باش دشوار است راه

التحليل المعنوي لأغنية الناي وأنشودة الحق

اتخذ جلال الدين الناي مثلاً ونموذجاً لروح الإنسان، وأراد بالغاب عالم الملكوت .. فالناي الذي قطع من الغاب مثل روح الإنسان التي أبعدت عن عالم الملكوت، وكأنما يقول:

استمع إلى الروح كيف تحكى الحكايات، وتشتكى من آلام الفراق، إنه منذ أن قطعوها من عالم الملكوت الذي كان مقراً ومستقراً لها، وألقوها في عالم الناسوت، منذ ذلك الحين وأرواح العالمين تشن لأتنيى .. وينتقل من الحديث عن روح الإنسان إلى روحه هو...

روح جلال الدين تريد صدرأ قد تمزق من العشق لتبث له ألم الشوق .. والناي في الأبيات علامة عن حقيقة الإنسان .. وقطعة الناي المصنوعة من الغاب تمثل جسد الإنسان، والفتحات التي في الناي تمثل حواس الإنسان الظاهرية والباطنية، الصوت والأتني الصادران من الناي يعبران عن النفس الناطقة، والعازف على الناي هي روح الإنسان ومن هنا فالناي يعبر عن الجسم والنفس والروح البشرية.

أما جواد نوربخش فقد كان أكثر وضوحاً وأبعد عن الرمزية فقد جعل الحق هو الهادي للعاشقين، وهو الذي علم الإنسان طريق العشق وهو الذي تجلى فيهم وهدى الإنسان إلى العشق حتى ترسخ نظام العشق بين المحبين.

الحق هو الذي ألقى شبك العشق على الإنسان حتى يجعله عاشقاً، ولو لم يكن الإنسان، أهلاً لهذا فمن يكون أهلاً لذلك؟

الحق وجد الإنسان لائقاً لحبه فألقى في قلبه المحبة، ولكن ليس كل إنسان أهلاً للعشق فمائدة العشق حق للرجال، وليس كل قلب جديراً باحسان الغيب، العشق ليس للأوياش وليس حقاً لكل محتال.

تدور أغنية الحق لنوربخش حول:

الحق والعشق والعشق. فالحق هو الله سبحانه وتعالى والعاشق هو الإنسان الصوفي والعشق هو الحب الإلهي.

وأغنية الناي لمولانا جلال الدين الرومي يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام (١) وهي :

(١) فى القسم الأول بصور سيرة روحه.

(٢) فى القسم الثانى وفى أبيات متفرقة يصف صفات وأسرار أنينه وبكائه.

(٣) فى القسم الثالث يكشف عن العشق الالهى وأنه هو السبب الحقيقى للذوق والشوق، وتأوه الناي أى روحه إنما هو أنين العشق والحب.

(٤) وفى القسم الرابع يبين دور مشايخ الصوفية فى إظهار الحقيقة والمعرفه ويوضح شروط الوصول إلى الحقيقة.

ويجب أن نلم بالمعانى الباطنية والرموز والكنائيات لبعض الكلمات والأبيات لتدرك حقائق أفكار وأسرار أغنية الناي وأنشودة الحق.

١ - الناي : كناية عن الإنسان بجسمه ونفسه وروحه وأيضاً كناية عن الروح.

٢ - الغاب (نيستان) : عالم الأرواح أو عالم الملكوت.

٣ - أنين الناي (نالء نى) : أحاسيس وعواطف انفصال الروح عن عالم الملكوت.

٤ - الجماعة (جميعيت) : الأمم والأقوام الذين هم على وجه الأرض.

٥ - فتحات الناي : الحواس الظاهرية والباطنية للجسم، التى تظهر فيها أغانى الروح فى العالم المادى.

٦ - الأصل : موطن الروح فى عالم الملكوت.

٧ - قرين (جفت) : الرفيق الروحى فى طريق الحقيقة.

٨ - المنظر : عين الباطن ورؤية الروح والقلب المعنوى.

(١) مجلة : ارشاد دوره سوم شماره سوم پائيز ١٩٣٦ لندن ٣٠.

٩ - الحجب (برده) : كناية عن حجاب الجهل والأنانية.

١٠ - النار (آتش) : نار العشق الإلهي.

ويقول مولانا جلال الدين:

- إننى أنوح فى كل جماعة، وصرت قرينا للتعساء والسعداء (١) إننى أعيش

بين كل الأقسام وأرافق الجهلاء والحمقى وكثيراً ما أصدر أنينا ولكن عين

وأذن الباطن عندهم لم تتفتح بعد، ولم تدرك حواسهم الأنوار الروحية.

- كل من لم يكن سمكاً شبع من مائه، وكل من لا رزق له طال يومه (٢).

العالمون والعارفون يقسمون طريق الحقيقة إلى ثلاث مراحل، هى : مرحلة الطفولة

ثم الشباب ثم الشيخوخة.

المرحلة الأولى هى مرحلة النفوس التى فيها لم تنزل الحواس والقوى الروحية

للاتسان لم تتنبد بعد، لا يعرفون شيئاً عن الحياة والعالم المادى، هذه النفوس مثل

الأطفال الرضع الذين يقضون أغلب أوقاتهم فى النوم، ويتغذون على حليب الطاعة من

ثدى شفقة الأم، ويكتفون بهذا، ولاهم لهم سوى الرضاعة، ولا يشغلون أنفسهم

بالمتعاب .. وهى مرحلة التكامل الجسدى .. بينما يكون التكامل الروحى ضعيفاً

جداً.

المرحلة الثانية هى مرحلة تكامل الحواس والقوى الروحية، وعندها يزداد البحث

والتدقيق فى حقائق الأشياء، وأسباب حادثات العالم، ويزداد تحمل الشباب للمتعاب،

وتتنوع المشارب والمآكل، ويتجهون للتحصيل والدرس، ويخضعون لهداية المشايخ

والمرشدين، ويروون أرواحهم العطشى بالماء الزلال، ويعملون على تزكية النفس و

ترويض القلب وكسب الفضائل.

والمرحلة الثالثة تتكامل أحوال الواصلين حيث تتكون لديهم التجارب، وترقى

(١) من بهر جمعيتى نالان شدم == جفت بد حالان وخوش حالان شدم

(٢) هرکه جز ما هى ز آتش سيرشد == هرکه هى روزى است روزش ديرشد

عواطفهم وأحاسيسهم وأدراكاتهم وأفكارهم، ولا يكون لديهم سوى شراب المعرفة وإكسير العشق والبحث عن أنوار الحقيقة، وبذلك يكونون كالسّمك الذي يعيش في الماء ولا يشبع أبداً.

ويقول مولانا جلال الدين الرومي :

- صوت النّاي نار لا هواء، فلا كان كل من ليس لديه هذه النار (١).

- إن نار العشق هي التي حلت في النّاي، وسورة العشق هي التي حلت في الخمر.

يقصد جلال الدين في المصراع الأول النّاي على أنه هو المقصود بالروح الإنسانية، وقد أشار في البيت السابق إلى أن نار النّاي هي نار حب الله.

ويبدى في البيت الثاني أن نار عشق الله تظهر فقط في القلب الطاهر، ومن هنا يطلق لسانه ضد هوى وهوس النفس البشرية.

ومقصوده من "نيسيت باد" ليس التنفر بل الإفراط والمغلاة فيما يراه من عشق فيعنى ليت هذه النفس التي لم تستفد من عشق الله ما جاءت للوجود، وما عاشت حياتها لأن الحياة دون عشق الله - حياة سيئة.

ويقول مولانا جلال الدين :

كل من فرقه الدهر عن أهله، يصبح بلا لسان وان كان لديه مائة صوت (٢).

في هذا البيت والأبيات السبعة التي تليه يتحدث عن شمس تبريزي وعن انفصاله عنه ومقصوده من دمساز وهمزيان روح شمس تبريزي.

وفي البيت الذي يليه (٣) يصور شمس بالوردة وحياته بالبستان ويصور نفسه

(١) آتش است این بانگ نای ونیست باد == هرکه این آتش ندارد نسیت بساد

آتش عشق است کاندن نی فتساد == جوشش عشق است کاندرمی فتاد

(٢) هرک او از همربانی شد جـدا == بی زیان شد گرچه دارد صد نوا

(٣) چونک گل رفت وگلستان درگذشت == نشنوی زآن پس زبلبل سرگذشت

بالبلبل لأن البلبل كان عاشقا للورد وبعد موت الورد فى البستان، صمت البلبل، ولم يسمع منه انغام عشقه، وروح مولوى بعد انفصالها عن شمس، ظلت فترة حزينة يائسة، لكن روحه المطلعة التى هى بلبل الحقيقة لم تستطع أن تبقى فى ركن الحزن صامتة.

ويقول مولانا جلال الدين الرومى :

يادواء غرورنا وكبرياتنا ، يا أفلاطوننا وجالينوسنا (١)

يصف العشق وهذبه من العشق، ان كل دواء يدفع المرض من الجسم إلا دواء عشق الله فهو دواء روحانى يدفع الغرور والكبرياء وعبادة الذات، والناموس يعنى الشرف والعلو القبرى والروحى.

أفلاطون ممثل الحكمة والمعرفة الالهية ومعلم الحقائق العلوية والروحية، وجالينوس أعظم أطباء اليونان ومراده أن عشق الله هو طبيب روحنا.

ويقول مولانا جلال الدين :

الجسد الترابى علا الأفلاك من العشق == ورقص الجبل وصار خفيف الحركة (٢)

المصراع الأول يعنى إشارة إلى معراج النبى صلى الله عليه وسلم الذى عرج مع جبريل بجسمه المادى الترابى إلى السموات، والذى علم بحقائق لا تعد، وكان قاب قوسين أو أدنى والمصراع الثانى إشارة إلى جبل طور سيناء الذى نادى الله موسى من فوقه ومنه جاء الوحي ..

العارفون يعترفون أن كل الملل تعجز عن بيان قدرة وعظمة عشق الله، ويقولون أنه عندما خلق الله أرواح البشر قالت له : يا الله لقد خلقت الحنصر والفواكه لتغذية أجساد البشر، ولكن لم نر ما خلقتك لتغذية أرواح البشر فكيف يتغذون : قال تعالى
إنى أغذى هذه الأرواح بنور عشقى.

(١) أي دواي نخوت وناموس ما == اي تو افلاطون وجالينوس ما

(٢) جسم خاك از عشق بر افلاك شد == كوه در رقص آمد وچالاك شد

وفى أنشودة الحق يقول مولانا جواد نور بخش:

عندما تشبع من تباريح العشق يبعد خاطر الغير عن ذاتك (١) إنك عندما تصبح عاشقاً تفقد رؤيتك للآخرين ولا تدرك إلا المعشوق وعندما يمتلأ قلبك بالعشق تدرك أن العدم وجود وكل ما لم تكن تدركه، تدركه.

والعشق عند جواد نور بخش ليس إلا لمن يقومون بالرياضات والمجاهدة وليس العشق مطلباً للأروباش ولا حقاً لكل محتال.

وشرك الصياد هو العشق الالهى الذى يناله العارفون .. فمائدة العشق ليست إلا لمن يستحقها وقلب العارفين جدير باحسان الغيب.

ويتسائل جواد نور بخش ما شأن العشق بالكفر والإيمان وما شأنه بالنار والرضوان (٢).

لا شأن للعشق بالأمر الإيمانية ولا علاقة له بالجنة أو النار.. لأن العشق لا يرتبط إلا بالأطهار ولا شأن له مع الأنجاس والأراذل.

القلوب الحية هى التى تحيا بالعشق والعشق لا يصيب القلوب الميتة. ويقول جواد نور بخش :

العشق يبحث عن نديم ممزق الصدر، لا يخشى من فئانه (٣)

-
- (١) چون کنی در پیج و تاب عشق سیر == از وجودت دور ساز دیا دغ سیر.
(٢) عشق را با کفر و ایمان چه کار == عشق را با دوزخ و رضوان چه کار.
(٣) عشق می جوید حریفی سینه چاک == کوندارد از فنای خویش جاک

ولعل قوله هذا يذكرنا بقول مولانا جلال الدين : أريد صدراً مزقه الفراق
 لأشرح له ألم الإشتياق (١) العشق إذا استولى على القلب
 والعقل لا يبقى هناك مجال للجدال وإذا استولى على
 القلب فيعنى أنك بدأت السير في طريق الفسق
 والفناء، طريق حب الله.

يقول جواد نوربخش :

العاشق لا وجود له، لاشئ سراب ومع ذلك فهو لا يفتنه من هو فسدع مجال
 إظهار العشق لا تدعى أنك عاشق وأغمض عينيك عن رؤية الوجود فالكافر لم
 يزل عاشقاً للوجود.

الكل هو المعشوق ولا يوجد عاشق == المعشوق حي والعاشق ميت (٢)

والبيت الأخير إنما هو من قول مولانا جلال الدين الرومي:

المعشوق هو الكل والعاشق حجاب، المعشوق حي والعاشق ميت (٣)

الحق هو المعشوق عند جواد نوربخش واستمع إلى الحق أي استمع إلى المعشوق.

- (١) سينه خراهم شرحه شرحه ازفراق == تابگويم شرح درد اشتياق
 (٢) جملة معشوق است وعاشق هيچ نيست == زنده معشوق است وعاشق مرده أي است
 (٣) جملة معشوقست وعاشق پردهء == زنده معشوقست وعاشق مردهء

التحليل النفسى لأغنية الناي

وأنشودة الحق.

التصوف قائم على معرفة الروح الإنسانية، وأهم وظائف التصوف مواجهة الأرواح المريضة وغير المتكيفة، والاهتمام بتزكية النفس وعلاج أرواح المريدين.. ومن هنا كان ارتباط التصوف بالعلاج النفسى، ومن هنا أيضاً كان هناك تفسيراً نفسياً لأشعار المتصوفة (١).

وقد استعان مولانا جلال الدين الرومى بالقصص والحكايات مستخدماً بديهيّات العرفان ومستفيداً من الشخصيات التى رسمها فى قصصه لعلاج الروح الإنسانية، مما جعل العوام يشعرون بلذة عند قراءة أشعاره.

عالج جلال الدين موضوعات نفسية عديدة باستخدام الرمز القصصى، وكانت أغنية الناي تمهيداً لعرض منهجه الرمزي.. وكانت الروح والعشق والقلب وشيخ الطريقة والنفس والعقل والرياضة عناصر قامت عليها أعماله الأدبية.

الروح ترافق العشق، وتعمل على فتح مقاليد القلب، القلب يتوجه إلى عالم الكثرة وهو عالم النفس، ومن ثم تسعى الروح للسيطرة على القلب، ولكن النفس تأسر القلب بشباك الهوى.

ير الجسد بسبب حرمانه من تلبية المطالب النفسية، ويدخل العقل الميدان لعلاج القلب من المرض النفسى، ولكنه لا يستطيع، لأن القلب يحتاج إلى علاج روحانى.

تتوجه الروح إلى الحق، وبرعاية الطبيب الالهى أو الشيخ - شيخ الطريقة - تكتسى بكسوة الشيخ ويتحرر القلب من ظلم النفس ويتعرف على الروح.

(١) مجلة صوفى - فصلنامه شماره هشتم پائيز ١٣٦٩ هـ. ش.

القلب المضطرب يكون عادة بسبب عدم وجود توافق روحي ناجم عن هوى النفس، ومن ثم يكون علاج المريض علاجاً نفسياً وليس بدنياً، وينتقل إلى الخلوة مع الشيخ لادراك العلة.

عندما يعرف القلب محبوه ويتحقق له الوصال - ويتصارع القلب مع النفس، تنتهي المشكلة وتنتهي متاعب القلب بعد تحرره من أسر الهوى النفسى ومن ثم يرتقى إلى عالم الوحدة.

وكان جلال الدين الرومى خبيراً بالنفس البشرية عالماً بالروح، ومن ثم فقد رسم طرقاً للعلاج النفسى وما زال الأطباء النفسيون يسلكونها ومنها ادراك سبب العلة، وحل العقدة بالتدرج مع استمرار العلاج حتى يتم الاستقرار الروحي.

ومولانا جلال الدين يرسم صورة لكيفية العلاج النفسى عندما يرى أن التانى والمهارة فى استخدام العلاج هو السبيل لمعالجة النفس البشرية .. ويرى أن العلاج النفسى يحتاج لشخص ماهر. بداء القلوب وهو المرشد أو الشيخ؛ مع وجوب التأدب مع رجال الحق، والإجلال للعشق الذى يرقى بروح الإنسان ويطير بها إلى دنيا معنوية خالدة.

يرفعنا جلال الدين الرومى من هوى النفس إلى العشق الحقيقى الذى هو اضطراب أسرار الله (١)

ولقد رسم فى أغنية التانى صورة لعلاج الروح والنفس والجسد، وكيفية التخلص من الحرص والطمع.

وجاء مولانا جواد بخش ليقول أن التسليم والرضا تحقيق الذات والوصول إلى الهدف المنشود والطريق المحمود.

(١) خودش ١٠

يدفعنا مولانا جلال الدين نحو ترك الحرص فكوز الحرص لا يمتلأ أبداً وطالما
يظل الصدف مفتوحاً لا يمتلأ بالدر لأنه لم يقنع بما فيه (١).

وعلى هذا يكون مولانا جواد نوربخش هو امتداد لمولانا جلال الدين الرومي في
فكره ورأيه في العشق الالهى والمعشوق والعاشق.

(١) كوزه چشم حريصان پر نشد == تاصدق قانع نشد پر در نشد

المصادر والمراجع

- ١ - اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي - د. على الخطيب - القاهرة ١٤٠٤ هـ .
- ٢ - پاسخ هفت پرسش درباره تصوف - دكتور مسعود همايونى چاپ اول لندن ١٣٩٦ ش ١٩٩٠ م.
- ٣ - تاريخ أدبيات در ايران - ذبيح الله صفا جلد سوم بخش دوم تهران ١٣٥٢ هـ.ش
- ٤ - تاريخ التصوف فى الإسلام د. قاسم غنى ترجمة د. صادق نشأت - القاهرة ١٩٧٢ م.
- ٥ - تذكرة الأولياء - فريد الدين العطار - نشر نيكولسون ١٩٠٥ - ١٩٠٧ .
- ٦ - تذكرة الشعراء - أمير دولتشاد سمرقندى به همت محمد رمضانى طهران ١٣٣٨ هـ . ش .
- ٧ - التصوف عند الفرس - د. ابراهيم الدسوقى شتا سلسلة كتابك ٦٢ - دار المعارف ١٩٧٨ م.
- ٨ - التصوف وفريد الدين العطار - د. عبد الوهاب عزام - القاهرة ١٩٤٥ م.
- ٩ - الحب فى الشعر الفارسى - د. عفاف السيد زيدان - سلسلة كتابك ١٢٣ دار المعارف ١٩٧٧ م.
- ١٠ - الحسين بن منصور الحلاج - شهيد التصوف الإسلامى - طه عبد الباقي سرور - القاهرة ١٩٨١ م.
- ١١ - حكمة الإشراف - السهروردى (المقتول) طهران ١٣١٦ .
- ١٢ - شخصيات قلقة فى الإسلام - ماسينون ترجمة د. عبد الرحمن بدوى -

- ۱۳ - الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية راجعها وخرج أحاديثها وعلق
حواشيها د. اسامة حمزة - القاهرة ۱۹۸۴ م.
- ۱۴ - الفهرست - لابن النديم - دار المعرفة بيروت.
- ۱۵ - كتاب فيه ما فيه - ازگفتار مولانا جلال الدين محمد مشهور بمولوى با
مصححات وحواشى بديع الزمان فروزانفر - تهران.
- ۱۶ - كلييات شمس تيريزى از آثار مولانا جلال الدين محمد مولوى روحى بانضمام
شرح أحوال مولوى بقلم بديع الزمان فروزانفر چاپ بازدهم ۱۳۶۶ تهران.
- ۱۷ - مجله ارشاد - دوره سوم - شماره سوم - نشره بنياد عرفان مولانا - لندن
۱۳۶۹ ه.ش.
- ۱۸ - مجله صوفى شماره هشتم مهريماه ۱۳۶۹ شمس ۱۹۹۰ م.
- ۲۰ - مشنوى معنوى مولانا جلال الدين رومى - شش دفتر بسعى واهتمام وتصحيح
رينولد اين نيكلسون - ناشر مشعل تهران.
- ۲۱ - المشنوى - جلال الدين الرومى ترجمة الدكتور محمد عبد السلام كفافى -
جزءان - الأول ۱۹۶۶ - الثانى ۱۹۶۷ - بيروت.
- ۲۲ - نفحات الأنس - عبد الرحمن جامى - چاپ مهدى پور توحيدى - تهران
۱۳۶۶ ه.ش.

1991/4 20

1991/4 20

1991/4 20

1991/4 20